

التشابهات الحضارية بين الجزيرة العربية وإقليم النيل الأوسط خلال فترة ما قبل التاريخ: تقنية الصناعات الحجرية نموذجاً

جامعة جازان-المملكة العربية السعودية -
جامعة وادي النيل

د. فائز حسن عثمان أحمد

مستخلص:

ظهرت تقنية الصناعات المoustيرية واللفوازية خلال العصر الحجري القديم الأوسط، في كل من إقليم النيل الأوسط والجزيرة العربية. عدد من المواقع أبرزها التي تقع في أقصى الشمال حول وادي حلفا والمنطقة الواقعة بين الحدود السودانية المصرية شمالاً وحتى الشلال الثاني جنوباً، وكذلك في منطقة سهل دنقلا. في الجزيرة العربية وجدت هذه التقنية الصناعية في عدد من المواقع أبرزها مواقع منطقة الجوف في شمال غرب المملكة العربية السعودية. ونسبةً لأن تاريخ الاكتشاف كان في إقليم النيل الأوسط مبكراً عن الجزيرة العربية، أطلق عليها اسم التقنيات النوبية، وقد كان لظهور هذه التقنيات في كلا المنطقتين رغم وجود حاجز البحر الأحمر بينهما مشار تكهنات وفرضيات وسط الباحثين الأثريين على مستوى العالم. وجود تشابهات وتواجد لتقنيات صناعة الأدوات الحجرية في كل من الجزيرة العربية وإقليم النيل الأوسط حقيقة. يرى بعض الباحثين أن وجود هذه التقنيات في كلا المنطقتين ليس بالضرورة نتج عن هجرات بشرية مبكرة، من أفريقيا إلى الجزيرة العربية، وإنما نتيجة لتشابه البيئة في كلا المنطقتين وهي التي حتمت على الإنسان القديم ابتكار هذه التقنيات. كما يرى البعض أن للأدلة التي تم الاستناد إليها غير كافية وأن معظم الأدوات التي تم الاستناد عليها عبارة عن ملتقطات سطحية لم يتم الحصول عليها نتيجة حفريات منتظمة. على كل ومهما كان الأمر ورغم ما يمكن أن تسفر عنه الأبحاث الأثرية مستقبلاً من نتائج تظل حقيقة

Abstract:

The Mousterian and Levallois industries technique appeared during the Middle Palaeolithic period, in both the regions of the Middle Nile and the Arabia. A number of sites, the most prominent of which are located in the far north around Wadi Halfa and the area between the Sudanese-Egyptian borders in the north to the second cataract in the south, as well as in the Dongola Reach. In the Arabia, this industrial technology was found in a number of sites, most notably the sites of the Al-Jawf region in northwestern Saudi Arabia. As the date of discovery was in the Middle Nile region earlier than the Arabia, it was called Nubian techniques, and the emergence of these technologies in both regions despite the presence of the Red Sea barrier between them was the subject of speculation and hypotheses among archaeological researchers around the world. The existence of similarities and the existence of stone tool-making techniques in both the Arabia and the Central Nile region, in fact. Some researchers believe that the existence of these technologies in both regions is not necessarily a result of early human migrations, from Africa to the Arabian Peninsula, but rather a result of the similarity of the environment in both regions, which necessitated the ancient man to invent these technologies. Some also believe that the evidence that has been relied on is insufficient and that most of the tools that were relied on were surface seizures that were not obtained as a result of regular excavations. However, whatever the matter, and despite what future archaeological research may yield in future results, it remains true.

مقدمة:

مصطلح العصور الحجرية أو آثار ما قبل التاريخ أطلقه العلماء على الحقبة الحضارية التي استخدم فيها الإنسان أدوات مصنوعة من رقائق صخور الكوارتز والجرانيت والصوان الصلبة (صخورناحية بركانية) شذبها لإنتاج الفؤوس والمطارق والنصال « السكاكين » شكلها كحجارة رحي « مطحنة حجرية » كما صنع منها أدوات الزينة واللوان المغارة التي رسم بها مشاهد الصيد.

تنقسم العصور الحجرية الى ثلاثة أقسام رئيسية:

1. العصر الحجري القديم:

وينقسم الى ثلاثة عصور هي العصر الحجري القديم الأسفل ثم العصر الحجري القديم الأوسط ، فالعصر الحجري القديم الأعلى. أغلب حقبة العصر الحجري القدي تمتد الى حوالي مليوني عام قبل الحاضر خلال العصر الجليدي الأخير « البلايستوسين ». أغلب الأدوات الحجرية من الطراز الأشولي والشيلي.

2. العصر الحجري الوسيط:

ويتمدد ما بين العصر الحجري القديم الى بدايات العصر الحجري الحديث. تطورت خلالها لصناعات الحجرية بشكل أكبر.

3 - العصر الحجري الحديث:

ويعرف أيضاً بعصر ثورة انتاج الطعام عن طريق اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوانات، مما وفر للمجتمعات الجديدة القدرة على انتاج وتخزين الغذاء مما أدى إلى الاستقرار في مستوطنات دائمة بدلاً من التجوال والتقاط وجمع الطعام. انعكس الاستقرار على طبيعة المجتمعات الجديدة حيث ظهرت تقاليد فصل المدافن عن المساكن وظهور الحرف التقليدية كصناعة الفخار والأدوات ودبغ الجلود والزراعة والرعي. كما عرف هذا العصر التنظيم الاجتماعي. شهد علم الآثار خلال فترة تطوره الطويلة سلسلة من الأهداف البحثية التي ظل جزء منها مرتبطاً بنظريات علم الأنثروبولوجيا، والتي كان من بينها انتشار الحضارات ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك، وقد نتجت عن ذلك مجموعة من الفرضيات أبرزها أن الحضارة نشأت في منطقة جغرافية محددة

ثم انتشرت إلى مناطق أخرى، فتم تفسير ظهور عدد من الظواهر الحضارية المشتركة في عدة مناطق من العالم على هذا الأساس.

في هذا البحث نقف على انتشار تقنية الصناعات الحجرية خلال فترة ما قبل التاريخ في منطقتي الجزيرة العربية وإقليم النيل الأوسط، ليس إثباتاً لفرضية معينة أو نظرية محددة ولكن لإلقاء الضوء على التبادل الثقافي في ظل الأدلة والشواهد الأثرية، باعتبار أن التجربة الإنسانية المفيدة يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر. كان من الصعب حصر كل المواقع الأثرية في منطقتي الدراسة نسبةً لكثرة عددها لذلك تم أخذ نماذج محددة دون الإخلال بمنهجية البحث ودون الإخلال بحجم العينات المراد دراستها والوقوف عليها.

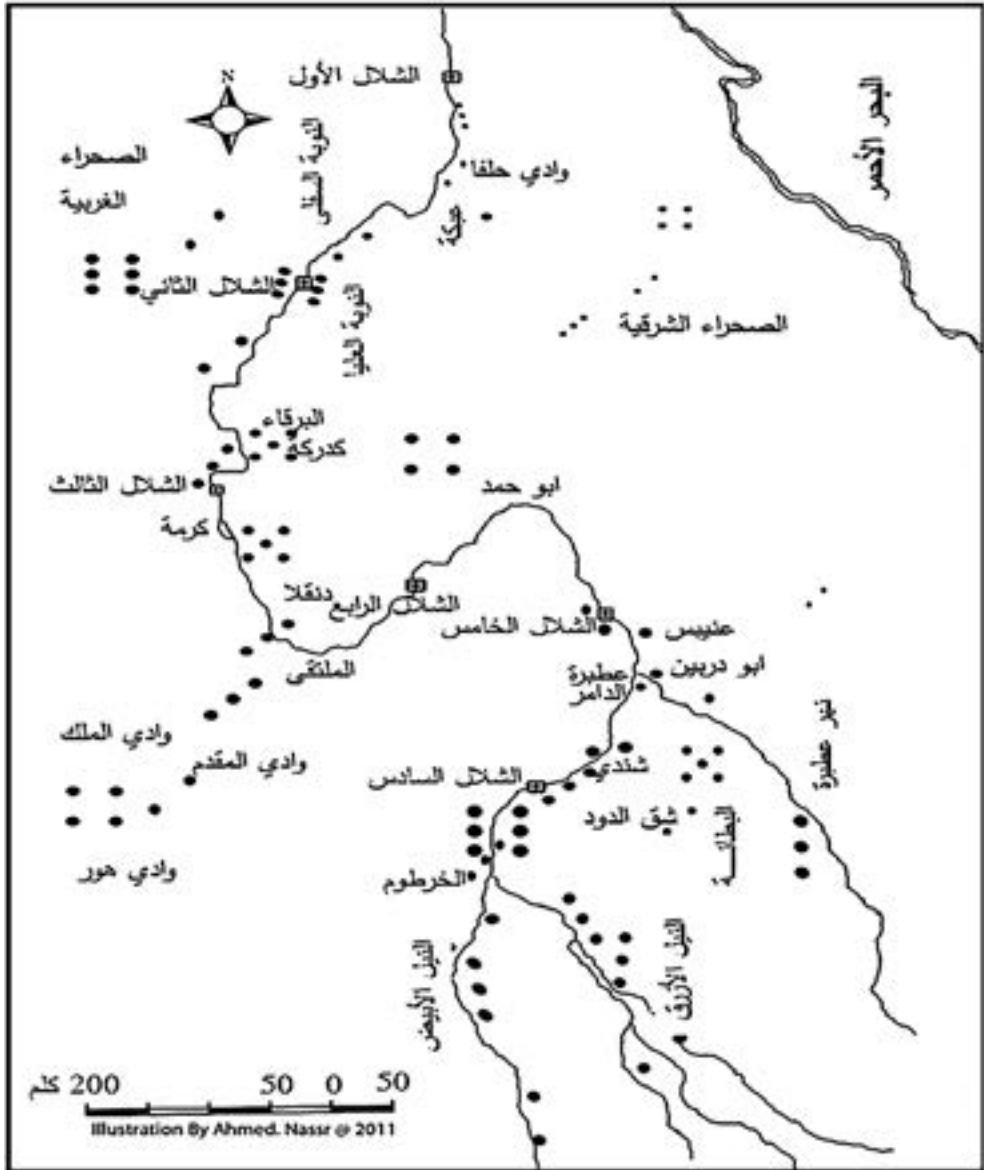
العصور الحجرية في إقليم النيل الأوسط:

خلال عصر البلايستوسين كانت الظروف المناخية في أجزاء واسعة من شمال إفريقيا عامةً ووادي النيل الأوسط خاصةً في فترة العصر الحجري القديم قاحلة وأصبحت أقياد عديدة من مناطقها غير صالحة للسكن، ويرى بعض الباحثين أن تدفق مياه النيل كان أق لهما أصبح عليه في الفترات اللاحقة، وربما وصل إلى 10-20 في المائة من تدفقه السنوي الحالي، بل ومن الممكن أنه قد توقف عن الجريان في مواسم الجفاف وتحول إلى تجمعات قليلة في بعض المناطق.

2-1: العصر الحجري القديم الأسفل:

تعتبر دراسات آركل A.J.Arkell من الدراسات الرائدة في مجال آثار ما قبل التاريخ في السودان، ويعتبر خور أبو عنجة من أوائل المواقع التي تم تسجيلها في السودان والتي ترجع لفترة العصر الحجري القديم الأسفل (1) وقد جمع آركل حوالي 2000 أداة حجرية من سطح الموقع أمكن تصنيفها على أنها أدوات أشولية الصناعة. كما سجلت البعثة الأثرية المشتركة لآثار ما قبل التاريخ عدداً من المواقع الأثرية التي ترجع لهذه الفترة في الأجزاء الشمالية من إقليم النيل الأوسط (ما كان يعرف بالنوبة السفلى) في المنطقة الواقعة بين الحدود السودانية المصرية شمالاً ومنطقة الشلال الثاني جنوباً (2)) ومعظم المواقع التي تم تسجيلها كانت مواقع تصنيع للأدوات الحجرية تقع على طبقات ومجاري قديمة لنهر النيل. وبناءً على دراسة الأدوات الحجرية تم تقسيم العصر الحجري القديم الأسفل

إلى ثلاثة فترات: العصر الأشولي المبكر، العصر الأشولي الأوسط، والعصر الأشولي المتأخر. حتى الآن لايعرف إلا القليل نسبياً عن آثار الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم خاصة في المنطقة الوسطى من السودان.(3).



خريطة رقم 1 توضح مواقع العصور الحجرية في إقليم النيل الأوسط
عن (أزهرى صادق:2017)

العصر الحجري القديم الأوسط:

تم تسجيل عدد من المواقع الأثرية التي تعود لهذا العصر في عدد من مناطق إقليم النيل الأوسط، أقدمها اكتشافاً حول وادي حلفا في أقصى شمال السودان، كما تم العثور على مواقع أخرى بالقرب من دنقلا. وتتميز هذه الصناعة بمواقع استقرار كبيرة وبعض المعسكرات الصغيرة، التي تنتشر فيها الأدوات الليفلوازية وعدة أنواع من المادة الخام كالحجر الرملي والحجارة البركانية وحصى النيل. وكان الاقتصاد السائد خلال هذه الفترة هو صيد الأسماك والحيوانات البرية والنهرية. تلت هذه الفترة صناعة جماي (13000-15500 Gemaian ق. م)، التي تميزت بقلعة الأدوات الليفلوازية إضافة إلى وجود العديد من المكاشط والمخارزو الأدوات المسننة (4)

تم تقسيم العصر الحجري القديم الأوسط إلى عدد من الصناعات الحجرية التي انتشرت بصفة خاصة على ضفاف نهر النيل والمجاري المائية وعلى سفوح الجبال في عدد من مناطق شمال السودان، وتعتبر الصناعة المoustيرية Mousterian أقدم أنواع الصناعات الحجرية التي تم الكشف عنها في تلك المناطق. مؤخراً اكتشفت بعثة معهد الآثار والأنثروبولوجيا البولندية عن موقع أثري يرجع لهذه الفترة في العفاض (5) كان من ضمن محتوياته ورشة لتصنيع الأدوات الحجرية الليفلوازية.

العصر الحجري القديم الأعلى:

وبالرغم من محدودية المعلومات المتعلقة بالعصر الحجري القديم الأعلى في السودان، لكن يبدو أن سكان العصر الحجري الوسيط انتشروا في مناطق واسعة من أواسط ومناطق أعالي النيل والعديد من مناطق وسط وغرب إفريقيا والمناطق المجاورة التي لم يتم فيها إجراء أي أعمال تنقيب أثري حتى الآن تقريباً وقوعها في هذه المنطقة الشمالية من السودان خلال الفترات المناخية لقاحلة قد تساهم كثيراً في فهمنا لأصول سكان الثقافات اللاحقة.

هناك القليل من المواقع الأخرى التي تنسب إلى العصر الحجري القديم الأعلى في مناطق بطن الحجر ومنطقة دالب شمال السودان. حيث تم الكشف عن الصناعة المعروفة باسم صناعة خور موسى (16000-25000 Khor Musan ق. م)، والتي عرفت

فقط على طول النيل من منطقة اختيارية في الشمال إلى جماي في الحد الجنوبي للشلال الثاني(6)، وهناك مواقع أخرى تم الكشف عنها في منطقة خشم القربة تتميز بتقنيات حجرية مميزة من الشفرات فضلاً عن تقنيات أخرى غير معروفة في المناطق الموجودة غرباً (7).

وضعت صناعات أخرى من ذات الفترة ضمن ما عرف بالعصر الحجري النوبي النهائي، لتمييزها عن الصناعات المعاصرة او اللاحقة بظهور تقنيات حجرية جديدة خاصة تقنية الأدوات الدقيقة (8). (Microlithic Tools) ومن أهم صناعات هذه الفترة هي صناعة عبد القادر (Qadan) والمؤرخة من 13.000 إلى 9.000 سنة مضت والتي تتميز بالتقنيات الحجرية الدقيقة ومعسكرات سكنية بالقرب من النهر، كانت صغيرة في البداية ثم أصبحت ذات حجم أكبر. كما تدل المخلفات الأثرية على تركيز أكبر على الحيوانات الكبيرة وصيد الأسماك. ولأول مرة يتم العثور على أدوات الطحن كإشارة إلى أهمية طحن الحبوب البرية.

من الصناعات المتأخرة نسبياً والتي تعو لهذه الفترة صناعة اركين (Arkinian) (مؤرخة إلى حوالي 180 7440 سنة مضت) وتعرف فيمكانواحد بالضفة الغربية للنيل شمال وادي حلفا وتتميز بالتقنية الدقيقة وزيادة في عدد الشفرات. وكذلك صناعة شمركة (Shamarkian) حوالي 3270-5750 ق.م والتي تعرف في منطقة صغيرة بالقرب من الضفة الغربية للنيل شمال وادي حلفا.

4-: 2 العصر الحجري الوسيط:

يعتبر موقع الخرطوم الذي اكتشفه أركل أحد أقدم مواقع العصر الحجري الوسيط في منطقة وادي النيل الأوسط، والتي تحتوي على الفخار والتي اصطلح على تسميتها «الخرطوم المبكرة أو القديمة»، أو «خرطوم العصر الحجري الوسيط» وكذلك «ثقافة الفخار ذو الخطوط المموجة» (9) يعود موقع مستشفى الخرطوم والمواقع الشبيهة له إلى حوالي 7000 ق.م.

هناك مواقع أخرى بالقرب من ملتقي نهري عطبرة والنيل أرخت إلى حوالي 8000 سنة مضت (7000 ق.م). تواريخ مشابهة أيضاً تم الحصول عليها في بعض مواقع النيل الأبيض في تفرع ويلي والشابونة .
تم العثور على آثار سكان العصر الحجري الوسيط في معظم أنحاء وسط

النيل، مع التركيز بشكل خاص على الاستيطان في المناطق ذات المصادر المائية الدائمة. وتشمل هذه المناطق النهرية على طول النيلين وكذلك حول المجاري المائية الرئيسية الأخرى والبحيرات إلى الغرب والشرق (10)

أما في المناطق التي شهدت بحثاً مكثفاً كم منطقة الخرطوم مثلاً فإننا نجد العديد من المواقع حيث تم تسجيل ما يزيد عن 22 موقعاً في منطقة الجيلي وحدها، كما تم تسجيل مواقع متعددة على طول وادي سوبا وكذلك في البطانة حول منطقة شق الدودو على ضفتي النيل الأبيض بين الخرطوم وجبل أولياء، وشمال الجزيرة وجنوبها، وشرقاً في كسلا وخشم القربة، وشمالاً حول عطبرة والدامر .

كما تم تسجيل بعض المواقع شمالاً خلال المسوحات الأثرية في منطقة سد مروي، وكذلك في العديد من الوديان الصحراوية مثل وادي العلاقي ووادي المقدم وصحراء بيوضة. إضافة إلى ذلك كشفت المسوحات الأثرية حول منطقة دنقلا ومنطقة الشلال الثالث والنوبة السفلى على بعض الدلائل الهامة على الوجود البشري خلال العصر الحجري الوسيط.

علاوة على ذلك تميزت مواقع العصر الحجري الوسيط بالعديد من المميزات التقنية الأخرى من بينها الحراب العظمية المسننة والتي وجدت على نوعين أحدهما عبارة عن نصل من العظم كبير الحجم مزود بأشواك جانبية وله قاعدة ذات حوز بحيث يمكن ربطها في عصا طويلة لصيد السمك. أما الثاني فكان عبارة عن نص الصغيرة ذات أشواك متعددة. ويرى أرك لأن النوع الأخير ربما استخدم مع القوس رغم عدم وجود دليل مباشر عليه، وقد أثبت رأيه هذا بالكميات الكبيرة من الأدوات الشبيهة بالهلال والمصنوعة من حجر الكوارتز والتي يعتقد أنها استخدمت كرؤوس سهام (11).

5- 2: العصر الحجري الحديث:

معظم مواقع العصر الحجري الحديث في السودان بشكل عام تميل طبقات الاحتلال الكبيرة إلى أن تكون سمك كبير، مما يشير إلى فترات طويلة من الاستيطان. حيث تم تسجيل عدد كبير من المواقع الأثرية التي ترجع لهذه الفترة في

مختلف مناطق إقليم النيل الأوسط، مثل المواقع الكدرو، الكدادة، كدروكا، الغابة، الجيلي، الزاكياب، الشهيناب، شق الدود وعلى ضفاف النيل الأزرق أيضاً، عطبرة، أبو دربين، الدامر، وعنيس.

نتيجة لدراسات أركل صار وسط السودان قلباً لدراسات فترة ما قبل التاريخ (ومنذ حفرياته في موقعي الخرطوم القديمة (مستشفى الخرطوم) والشاهيناب (12)، ازداد الاهتمام بمواقع العصرين الحجري الوسيط والحجري الحديث. وقد ساهمت حفريات «أركل» هذه في وضع الإطار العام لفترة ما قبل التاريخ في السودان.

تميز هذا العصر بعدد من المميزات التقنية والتي يمكن تلخيصها في الآتي (13):

1. الأداة الحجرية المسماة بالمقور (Gouge) وهي أداة شبيهة بالفأس أو الأزميل اعتبرها «أركل» العلامة المميزة لمواقع العصر الحجري الحديث في منطقة الخرطوم، بل أطلق على موقع الشاهيناب ومخلفاتها سم ثقافة المقور. ويعتقد «أركل» أن هذه الأداة كانت تستخدم بصورة رئيسية في صناعة القوارب عن طريق حفر جذوع الأشجار.
2. الأزاميل ثنائي السطوح (Bifacial Celt) ويمثل تقنية جديدة من الأدوات الحجرية القاطعة. وهناك أداة شبيهة له مصنوعة من العظم (Bone Celt) ويعتقد «أركل» أنها استخدمت في تقطيع اللحم من الحيوانات الكبيرة.
3. هناك استمرارية في استخدام بعض الأدوات. ومنها الرمح العظمي (بديقه)، وهو يختلف عن الرمح العظمي في العصر الحجري الوسيط، حيث يتميز النوع الجديد بثقب قرب القاعدة، إضافة إلى استخدام الشفرات (Lunates) والمكاشط (Scrapers) والمثاقب (Borers) وأدوات الطحن.
4. استمرار الفخار ليصبح من السمات التقنية الواضحة في العصر الحجري الحديث، لكنه يختلف عن فخار الخرطوم القديمة في أنه دائماً ما يكون مصقولاً ويحتوي على العديد من الزخارف خاصة زخرفة النقاط.
5. ظهرت لأول مرة خلال العصر الحجري الحديث سنارات مصنوعة من القواقع، وهي تدل على استمرار صيد الأسماك.
6. في مجال الزينة الشخصية استخدمت القواقع والحجر الأمازوني (Amazonite) «نوع من الحجارة يعتقد أركل أنه قد تم استجلابه من منطقة تبستي» في

صناعة الخز. وهناك زينه شبيهه بالدبايس صنعت من الزولايت يعتقد «أركل» أنها استخدمت كأزمة للشفاه (Lip-plugs).

7. من الاختراعات الهامة في العصر الحجري الحديث والتي لم تظهر في موقع الشاهينا باللوحات الحجرية المصقولة (Polished Palettes) واستخدمت في طحن الألوان ووجدت لها بعض الدلائل في موقعي الكدادة، والكدرو، بالإضافة إلى عمل التماثيل الفخارية، وتنوع المادة الخام في صناعة الحلي الشخصية باستخدام قشر بيض النعام، والكوارتزيت، والعقيق الأحمر. إن المميزات التقنية السابقة تميّز بصورة عامة مواقع العصر الحجري الحديث في وسط السودان، ولكن ليس بالضرورة أن توجد كلها في أي موقع، خاصةً المقاور والتي لا توجد في عدد من مواقع النيل والبطانة وشندي.

0: 3 - العصور الحجرية في الجزيرة العربية:

سجل أوائل المستكشفين الغربيين لشبه الجزيرة العربية أدوات حجرية في عدد من مناطق الجزيرة العربية، أعقبتها اكتشافات علماء الآثار الأوائل (14)، ثم حدثت قدم كبير في دراسات ما قبل التاريخ في سبعينيات القرن الماضي بعد إجراء مسوحات واسعة النطاق كالمسح الأثري الشامل للمملكة العربية السعودية (1976-1981) وفي جنوب شبه الجزيرة العربية العقد الماضي، بالإضافة إلى الدراسات الاستقصائية والمنهجية والحفريات متعددة التخصصات التي زاد فهمنا بشكل كبير عن عصور ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية، خاصةً التي استخدمت تقنيات بحثية حديثة ومتطورة مثل استخدام الاستشعار عن بعد (15) ويمكن الحديث عن فترات ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية بشكل موجز عبر التطرق لبعض المواقع المهمة وليس كلها وفق التقسيمات المتعارف عليها لدى علماء الآثار كما موضح أدناه.

1- 3: العصر الحجري القديم الأسفل:

تتميز الجزيرة العربية بوجود سجل غني جداً لفترة العصر الحجري القديم الأسفل حسب ما دلت عليه الاكتشافات الأثرية (16)، ليتضح أنه في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية أن المملكة العربية السعودية يوجد بها عدد كبير من مواقع العصر الحجري القديم الأسفل، وقد تم إجراء حفريات

Cores وشظايا Flakes من أحجار الكوارتز والشيرت، كما ظهرت بالموقع أيضاً القواطع Choppers والمكاشط scrapers وأدوات أخرى ثنائية الوجه Bifaces تم تصنيعها بتقنية الطرق المباشر Direct Percussion وتميزت هذه الأدوات بكثافة صبغة العتق التي تغطي سطحها.

تم عمل دراسة مقارنة بين موقع الشويحية وموقع أولدوفاي في تنزانيا حيث أكتشفت نفس أنواع الأدوات الحجرية المكتشفة في الشويحية والمعروفة باسم الأولدوانية، وكما عُمِلت مقارنة بين موجودات الشويحية مع الأدوات التي أكتشفت في موقع كادي باثيوبيا للتشابه الكبير بين الموقعين، مما يمكن القول بأن موقع الشويحية ينتمي إلى الحقبة الأولدوانية بعمر يتراوح ما بين 1,3-1,0 مليون سنة، كما أن الموقع مشابه لموقع العبيدية في وادي الأردن الذي أُرُخ من خلال القياسات الإشعاعية إلى مليون سنة (18).

من خلال التحليل التقني المقارن لخلص Whalen وزملاؤه إلى أن مجموعة الأدوات الحجرية من موقع الشويحية تذكرنا بقوة بتطور الأدوات الأولدوانية في شرق أفريقيا (19)، ووجود علاقة قوية للغاية بين الجزيرة العربية خلال العصر الحجري القديم الأسفل والمواقع الموجودة في المناطق المحيطة بها، تقنية الصناعة الأولدوانية كانت معروفة في شبه الجزيرة العربية وفي شمال وشرق إفريقيا، مما يشير إلى الدور الكبير للجزيرة العربية في هذا الجانب، وربما تجيب الحفريات الأثرية مستقبلاً على لتوضيح العمليات الديموغرافية للسكان في شبه الجزيرة العربية (عباس سيد أحمد مرجع سابق: 95)، وعلى العوامل الجغرافية والبيئية التي أدت إلى وجود هذه التشابهات في تقنيات صناعة الأدوات الحجرية.

3: 2 - العصر الحجري القديم الأوسط:

تعتبر مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط هي الأكثر وضوحاً في شبه الجزيرة العربية وقد شهدت الفترة الأخيرة تطورات في أهمية دراستها، حيث تم تسجيل عدد من المواقع الأثرية التي ترجع لهذا العصر في عدد من مناطق الجزيرة العربية مثل المنطقة الشمالية والشمالية الغربية على وادي السبهاء ووادي السرحان وحائل وسكاكا وقلوة على منحدرات الجبال بالقرب من الأودية

والسبخات القديمة (20) احتوت على أدوات حجرية ومستيرية ولفلوازية من أحجار الكوارتز والشير تمثل المكاشط الجانبية والمكاشط ثنائية الحد.

كما عثر في المنطقة المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية على مواقع أخرى في وادي حنيفة وحول سلسلة جبال طويق وبالقرب من مدينة الرياض (21) احتوت على أدوات حجرية مصنوعة بالتقنية المستيرية والآشولية من أحجار الكوارتز والشيرت والريولا يتمثل المكاشط والسكاكين والمحكات Burins. كما تسجيل موقع على أطراف الربع الخالي احتوى على أدوات حجرية مصنوعة بالتقنية اللفلوازية والمستيرية مثل الشظايا والشفرات التي كان بعضها مصنوعاً بطريقة التشظية من جانب واحد، وقد تمت أريخ الموقع للفترة من 18000-33000 ق.م (22).

لقد أوضحت الدراسات التي أجريت على الأدوات الحجرية التي ترجع لمواقع هذا العصر في الجزيرة العربية، تشابهاً كبيراً بينها وبين أدوات حجرية أخرى متزامنة معها ما لعثور عليها في عدد من المواقع في افريقيا مثل موقع بير الطير في شمال افريقيا، وخلصت هذه الدراسات إلى وجود علاقات حضارية بين الجزيرة العربية و افريقيا خلال تلك الفترة (23)، وربما تكشف الدراسات والحفريات الأثرية مستقبلاً عن تفاصيل هذه التشابهات وتجب على عدد من الأسئلة المتعلقة بالتغيرات المكانية والزمنية وظروف التكيف البيئي ودورها في خلق صناعات حجرية تلبي حاجة الإنسان القديم في صراعه الدائم للحصول على الموارد، وايضاً تجيب على تساؤلات انتشار الانسان الافريقي خارج افريقيا.

-3:3 العصر الحجري القديم الأعلى:

يبدو أن السجل الأثري للجزيرة العربية يفتقر إلى ظهور المميزات المحددة التي تتعلق بالتقنيات الحجرية مقارنةً مع رصيفاتها في افريقيا، حيث لم يتم الكشف على مواقع ترجع لفترة العصر الحجري القديم الأعلى تنطبق عليها ما توافق عليه الآثار بين كم ميزات أساسية لهذه الفترة، ومع ذلك أشارت بعض الدراسات إلى وجود مواقع في كل من المملكة العربية السعودية واليمن وغيرها (42). شكك عدد من الآثاريين في وجود مواقع وصناعات حجرية ترجع لتلك

الفترة (52)، كما يرى البعض أن هذه المواقع تمت دراستها بطريقة غير صحيحة. تم اقتراح بعض التفسيرات لهذا الغياب مثل ما ذكره أ.د. عباس سيد أحمد من أنه ربما استمرت التقاليد التقنية والنوعية المعروفة في فترة العصر الحجري القديم الأوسط إلى فترات متأخرة (26)، أو أن السمات الحضارية المتعارف عليها والمميزة لفترة العصر الحجري القديم الأعلى في مختلف بقاع العالم، لا تتطابق مع مواقع تلك الفترة في الجزيرة العربية، وعلي هي تضحلنا أن المسارات الثقافية التطورية في الجزيرة العربية في فترة ما قبل الهوليوسين غير مفهومة بشكل جيد.

-3:4 العصر الحجري الوسيط:

على الرغم من التسارع الواضح في وتيرة البحث والاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية في السنوات الأخيرة، لم يتم تسجيل أي موقع بالجزيرة العربية يرجع لفترة العصر الحجري الوسيط في الجزيرة العربية، يحمل الصفات الحضارية الأساسية المتعارف عليها وسط الآثاريين لتصنيف وتأريخ مواقع تلك الفترة (27)، كما أن عدد من الدراسات اعتمدت بصورة أساسية على الأدوات الحجرية المنتشرة على سطح المواقع دون إجراء حفريات منتظمة، مما أدى إلى أخذ نتائجها بشيء من التحفظ.

-3:5 العصر الحجري الحديث:

العصر الحجري الحديث هو المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ، وقد تميز بمعرفة الإنسان فيه الاستقرار الدائم في قرى ثابتة وممارسة الزراعة واستئناس الحيوانات وصناعة الفخار واستخدامه في الحياة اليومية للتخزين والطبخ وغيرها من الاستعمالات وانتقلت فيه المجتمعات من مجتمعات مستهلكة متنقلة إلى مجتمعات منتجة مستقرة. كما شهد الإنسان في هذه المرحلة تطور الفكر الديني.

في الجزيرة العربية لم تسفر الدراسات الأثرية عن توفر المميزات المذكورة أعلاه للعصر الحجري الحديث إلا فترات متأخرة نسبياً عن رصيفاتها في بقية أنحاء العالم، قسم بعض الباحثين فترة العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية إلى ثقافتين: الأولى ثقافة الشظايا وتنقسم إلى مرحلتين: العصر الحجري الحديث المبكر، والعصر الحجري الحديث المتأخر (82). الثقافة الثانية هي ثقافة الشطائر.

ومما جعل الأمر أكثر تعقيداً أن بعض الباحثين استندوا على سمات حضارية غير المتعارف عليها عالمياً لتأريخ مواقع هذا العصر في الجزيرة العربية (92) اعتماداً على ما تم العثور عليه من أدوات في هذه المواقع.

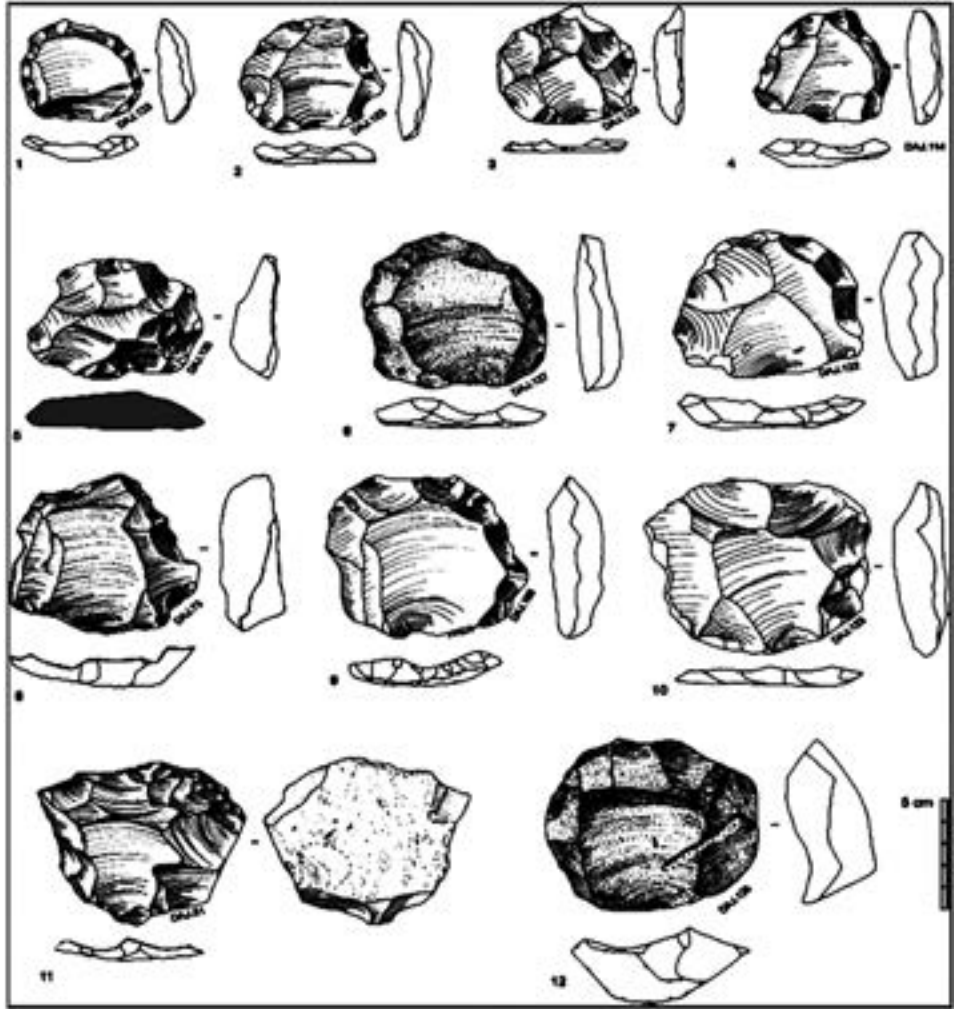
4:0- تقنيات صناعات حجرية مشتركة في وادي النيل الأوسط والجزيرة العربية:

عثر في عدد من المواقع الأثرية في شبه الجزيرة العربية على أدوات حجرية لفوازية الصنع استخدمت في صناعتها نفس تقنية الصناعات اللفوازية النوبية، خير مثال لها ما عثر عليه في مدينة دومة الجندل بمحافظة الجوف بالملكة العربية السعودية على بعد 002 كلم جنوب الحدود السعودية الأردنية، وتعتبر محافظة الجوف من المحافظات التي تحتوي على مواقع أثرية ترجع للعديد من الفترات الحضارية القديمة حسبما تم تسجيله خلال المسح الأثري الشامل للمملكة العربية السعودية، والذي بدأ منذ نهاية عقد السبعينات من القرن الماضي (03) من خلال أنشطة المسح، تم تسجيل ودراسة 84 موقعاً ترجع إلى العصر الحجري القديم الأوسط، اعتماداً على وجود تكنولوجيا الصناعة اللفوازية siollaveL وكانت هذه المواقع ذاتك ثافة أثرية منخفضة صغير الحجم (بنسبة قطعة 1:4 لكل متر مربع)، وبشكل عام لا يتجاوز 001 متر مربع من الإجمالي سطح- المظهر الخارجي.

استهدفت أنشطة المسح جمع كل النوى الموجودة من أحد عشرم وقعاً مختلفاً هي: (JAD ,011 JAD ,021 JAD ,221 JAD ,321JAD ,05 JAD ,15 JAD ,331 JAD ,531 JAD ,89 JAD ,001JAD)، بالإضافة إلى رقائق siollaveL والتي وفرتكمية كبيرة من المعلومات التقنية في مراحل التقشر في الماضي، من حيث التقلبات التكنولوجية وأنماط التخفيض، تم اختيار عشرة مواقع مختلفة من ضمن 84 موقعاً لأغراض الدراسة والتحليل (شكل رقم 1)، بمجموع 793 أداة حجرية تعتبر كافية مقارنةً بحجم العينات ووجود نوى لفلوازية siollaveL.

تم العثور في هذه المواقع على أدوات حجرية لفلوازية على طول المقاطع العرضية لمحافظة الجوف، وتم تسجيلها باستخدام نظام تحديد المواقع العالمي المحمول باليد وتسميته باختصار JAD (ladnaJ-IA tamuD). من خلال الدراسة

تم جمع معلومات عن المواقع وتوزيعها والمصنوعات اليدوية الكثيفة وتوافر المواد الخام ووجودها وقربها، كما تم تسجيل النتوءات و المعلومات عن القطع الأثرية التي تم تسجيل وعوامل التجوية والحجم، فضلاً عن تأريخها، ليتضح أنها تعود للعصر الحجري القديم (الأسفل الأوسط أو العلوي).



شكل رقم 1

نماذج من الأدوات الحجرية محل الدراسة

عن (Parr.et al.1978)



لوحة رقم 1

نماذج من الأدوات الحجرية اللفلوازية في منطقة الجوف
عن (Parr.et al.1978)

خلصت الدراسات إلى ان هناك منصة واحدة اساسية للنوى أحادي الاتجاه من الكوارتز تجمع الأدوات اللفلوازية مع إعداد الجاذبية المحفورة مع عدد قليل من الكوارتز ثنائي الاتجاه والمتكرر النوى siollaveL كانت موجودة أيضاً، كما توجد في حوض جبة عينات مننوى siollaveL التفضيلية ذات الجلبة المركزية والثنائية الاتجاه. وان التقنيات الصناعية للأدوات الحجرية اللفلوازية التي عثر عليها في هذه المواقع، هي نفسها التي عرفت وفي شمال شرق أفريقيا في مجموعات العصر الحجري القديم المبكر والمتوسط والمتأخر التي تستخدم التقنيات الصناعية النوبية(13).

بجانب هذه المواقع التي تمت دراستها في شمال المملكة العربية السعودية وجدت التقنيات النوبية اللفلوازية المعروفة ب(secnerrucco xelpmoC naibuN) طريقة الاختزال بواسطة النوى) وهي تقنية متميزة تعتمد على تفريد النواة الحجرية الأساسية، في نطاق جغرافي وزماني واسع في عدد من المواقع، حيث تم اكتشافها باكرأ في شمال السودان في الستينيات، ثم توالى اكتشافها منذ ذلك الحين في وادي النيل الأوسط والأسفل ووحدات الصحراء الشرقية وتلال البحر الأحمر. (23). كما تم العثور على تقنيات الصناعات اللفلوازية النوبية ذات الصلة في عدد من مواقع القرن الأفريقي في إثيوبيا وفي إريتريا على ساحل البحر الأحمر(33) وفي شمال الصومال. في خارج وأفريقيا تم العثور عليها في منطقة حضرموت شرق اليمن وفي منطقة ظفار جنوب عمان(43).

0 : 5 - الاستنتاج والخلاصة:

من خلال ما سبق يتضح ان تقنية الصناعات المoustيرية واللفوازية التي ظهرت خلال العصر الحجري القديم الأوسط، ظهرت في كل من إقليم النيل الأوسط والجزيرة العربية. في إقليم النيل الأوسط ظهرت في عدد من المواقع أبرزها التي تقع في أقصى الشمال حول وادي حلفا والمنطقة الواقعة بين الحدود السودانية المصرية شمالاً وحتى الشلال الثاني جنوباً، وكذلك في منطقة سهل دنقلا. في الجزيرة العربية وجدت هذه التقنية الصناعية في عدد من المواقع أبرزها مواقع منطقة الجوف في شمال غرب المملكة العربية السعودية. ونسبةً لأن تاريخ الاكتشاف كان في إقليم النيل الأوسط مبكراً عن الجزيرة العربية، أطلق عليها اسم التقنيات النوبية، (35) وقد كان لظهور هذه التقنيات في كلا المنطقتين رغم وجود حاجز البحر الأحمر بينهما مثار تكهنات وفرضيات وسط الباحثين الأثريين على مستوى العالم.

يقدر العلماء أن الجزيرة العربية كانت أحد الممرات المبكرة للهجرات البشرية الأولى وخروج الإنسان من إفريقيا، إذ أن هناك أدلة على أن الإنسان الحديث خرج من إفريقيا قبل حوالي 125000 سنة، عبر مسارين مختلفين، أحدهما على طول وادي النيل عبر برزخ السويس ليعبر إلى فلسطين منذ 120,000-100,000 سنة، والثاني عبر مضيق باب المندب أقصى جنوب البحر الأحمر حيث أن مستوى سطح بحر كان وقتها أقل بكثير وكانت نقطة العبور أضيق، عابرين إلى شبه الجزيرة العربية وإستيطانهم في مناطق هي اليوم الإمارات العربية المتحدة (منذ 125,000 سنة) وعُمان (قبل 106,000 سنة) وترحالهم المحتمل بعدها إلى شبه الجزيرة الهندية (جوالابورام: منذ 75,000 سنة). بالرغم من أنه لم يعثر حتى الآن على بقايا بشرية حتى الآن في تلك المناطق الثلاث، إلا أن التشابه الظاهر بين الأدوات الحجرية التي وجدت في جبل الفاية (الإمارات، وتلك التي في جوال ابورام Jwalapuram وتلك التي عثر عليها في إفريقيا، دفع بالظن بأن صانعوها كانوا كلهم من الإنسان الحديث. هذه الاكتشافات قد تدعم الادعاء بأن الإنسان الحديث خرج من إفريقيا ووصل إلى جنوب الصين قبل حوالي

100000 عام (كهفزهيرين-Zhirendong, Zhiren Cave, مدينة جانجواو: قبل 100,000 سنة؛ وإنسان ليوجيانج (مقاطعة ليوجيانج): والتي كان تقدير عمرها مثيراً للجدلب 139,000-111,000 سنة). كما أن نتائج تقدير عمر ضروس وجدت في لونادونج (جنوب الصين)، تشير أن تلك الأضراس قد يصل عمرها إلى 126000 سنة.

لقد ظلت دراسة الأحداث المعقدة التي كشفت عنها الأدلة التشريحية لمجموعات البشر الحديثة (HMA) المنتشرة خارج أفريقيا منذ فترة طويلة واحدة منتطلعاعلمآثارما قبل التاريخ، إلا أنهذهالمساعي استضمت بالطابع المجزأ للسجل الأثري وقلة الأبحاث في العديد من المناطق ذات الصلة المتعلقة بهذا الموضوع. لكن من المؤكد أنه في المراحل المبكرة من توسع HMA، تم افتراض طرق متميزة لانتشار الصناعات الحجرية خارج أفريقيا عبر طريقين الأول: الممرالشرقي عبرالبحرالأحمر وشبه جزيرة سيناء،الثاني: عبر طريق الانتشار الجنوبي عبر باب المندب.

كلا الطريقين يؤديان إلى شبه الجزيرة العربية أو بالقرب منها. مما يفسر وجود بعض التقنيات في الأفريقية في صناعة الأدوات الحجرية في شبه الجزيرة العربية، ليعطينا القدرة على تتبع الطرق والمسارات لهذا الانتشار،على الرغم من غياب بقايا الأحفوريات البشرية في السجل الأثري في فترة البلايستوسين في الجزيرة العربية، وندرة تسلسلات العصر الحجري القديم الطويلة والمؤرخة في شبه الجزيرة العربية، وهذا بدوره يعكس أهمية شبه الجزيرة العربية كخطوة انطلاق للتوسعات البشرية الحديثة خارج أفريقيا ومدى الانتشار المتزايد لإنسان نياندرت الفى الشرق الأدنى.

يرى بعض الباحثين أن وجود هذه التقنيات في كلا المنطقتين ليس بالضرورة نتج عن هجرات بشرية مبكرة، خرجت من افريقيا إلى الجزيرة العربية (63)، لكن ربما يكون نتيجة لتشابه البيئة في كلا المنطقتين وهي التي حتمت على الإنسان القديم ابتكار هذه التقنيات. كما وجه البعض انتقادات شديدة للأدلة

التي تم الاستناد إليها في عملية انتشار الإنسان الأفريقي القديم في العالم، باعتبار أن هذه الأدلة غير كافية وأن معظم الأدوات التي تم الاستناد عليها عبارة عن ملتقطات سطحية لم يتم الحصول عليها نتيجة حفريات منتظمة. على كل ومهما كان الأمر ورغم ما يمكن أن تسفر عنه الأبحاث الأثرية مستقبلاً من نتائج تظل حقيقة وجود تشابهات وتواجد لتقنيات صناعة الأدوات الحجرية في كل من الجزيرة العربية وإقليم النيل الأوسط حقيقة ماثلة للعيان دلت عليها معطيات وأدلة أثرية لا يمكن تجاهلها.

المصادر والمراجع:

- (1) 1- Arkell, A. J. 1949a. The Old Stone-Age in the Anglo-Egyptian Sudan (SASOP1), Khartoum.
- Wendorf. F. 1968a. The Prehistory of Nubia. Vol. I. Dallas
- (2) -Wendorf. F. 1968b. The Prehistory of Nubia. Vol. II. Dallas
- (3) أزهرى مصطفى صادق. 2017. «مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (1) العصر الحجري القديم». مجلة آداب. العدد 38. ص ص 79-104. الخرطوم.
- (4) أزهرى صادق. مرجع سابق ص. 91
- (5) 5-Osypinski, P. et al. 2016. "Affad 23: settlement structures and palaeoenvironments in the Terminal Pleistocene of the Middle Nile Valley, Sudan". Antiquity. 2016. Pp.894-913
- (6) 6-Marks, A. 1968. The Khormusan: An Upper Pleistocene industry in Sudanese Nubia. In F Wendorf (ed.): The Prehistory of Nubia. Dallas: Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University, pp. 315-319.
- (7) Marks. A. E and Fattovitch, R. 1989. "The later prehistory of the Eastern Sudan: a preliminary view", in L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz (eds) Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara, Poznan: Poznan Museum. pp.451-458
- (8) أزهرى صادق. مرجع سابق ص. 94
- (9) Arkell, A.J. 1949b. Early Khartoum. An Account of the Excavation of an Early Occupation Site Carried Out by the Sudanese Government Antiquities Service in 1944-5. London.
- (10) أزهرى صادق. مرجع سابق ص. 91
- (11) 11-Sadig, A. Mustafa. 2013 "Reconsidering the 'Mesolithic' and 'Neolithic' in Sudan" Noriyuki Shirai (ed.), Neolithisation of Northeastern Africa. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and

- Environment 16 Berlin.pp23-42.
- (12) Arkell. A. J. 1953. Shaheinab. London. Oxford University Press.
- (13) Sadig, A.Mustafa.Ibid:33-34
- (14) Caton-Thompson G, Gardner EW. 1939. Climate, irrigation, and early man in the Hadhramaut. Geogr J 93:18-35.
- (15) عباس سيد أحمد محمد علي.2000.«ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية» الدارة.ص94
- (16) Petraglia MD. 2003. The Lower Paleolithic of the Arabian Peninsula: occupations, adaptations, and dispersals. J World Prehistory.17:141-179.
- (17) Whalen N, Ali J, Sindhi H, et al. 1986. A Lower Pleistocene site near Shuwayhiyah in northern Saudi Arabia. Atlal 10:94-101.
- (18) Groucutt, H. S., &Petraglia, M. D. (2012). The prehistory of the Arabian peninsula: Deserts,dispersals, and demography. Evolutionary Anthropology, 21(3),p.117.
- (19) Whalen N, Ali J, Sindhi H, et al.Ibid:19
- (20) Parr, P.J., Zarins, J., Ibrahim, M., Waechter, J., Garrard, A., Clarke, C., Bidmead, M., al-Badr, H., 1978. Preliminary report on the second phase of the Northern Province survey 1397/1977. Atlal. The Journal of Saudi Arabian Archaeology Riyadh 2, 29-50.
- (21) Zarins, J., et. Al.1982. “ Preliminary Report on the Archaeological Survey ofthe Riyadh Area”, Atlal, 6 , , PP. 28 - 29
- (22) Zarins, J., et. al. Ibid
- (23) McClure H. 1994. “A New Arabian Stone Tool Assemblage...” ArabianArchaeology and Epigraphy , 5, P. 3.
- Rose JI,& Usik VI. 2009. The “Upper Paleolithic” of south Arabia. 24- (24)
- In: Petraglia MD, Rose JI, editors. The evolution of human populations in Arabia: paleoenvironments, prehistory and genetics. Netherlands: Springer. p 169-185.

- (25) 25-Groucutt, H. S., & Petraglia, M. D. Ibid.p.119.
- (26) عباس سيد أحمد محمد علي.2000. مرجع سابق.ص ص 106-107
- (27) عباس سيد أحمد محمد علي. مرجع سابق.ص ص 109-110
- (28) عبدالرزاق المعمرى.2000. «ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية» أدومات والعدد الأول ص ص 7-9.
- (29) عباس سيد أحمد محمد علي.. مرجع سابق.ص.111
- (30) Adams, R.McC., Parr, P.J., Ibrahim, M., al-Mughannum, A.S., 1977. Saudi Arabian archaeological reconnaissance 1976; the preliminary report on the first phase of the comprehensive archaeological survey program. Atlal.1, 21-40
- Parr, P. et. al.,1978. "Preliminary Report on the Second Phase of Northern Province Survey", Atlal, 2 .PP. 29-50.
- (31) Hilbert, Y.H., et al..2015. Nubian technology in northern Arabia: Impact on interregional variability of Middle Paleolithic industries, Quaternary International. Quaternary International xxx.pp.1-17.
- (32) Guichard, J., Guichard, G., 1965. The Early and Middle Paleolithic of Nubia: a preliminary report. In: Wendorf, F. (Ed.), Contributions to the Prehistory of Nubia.Southern Methodist University Press, Dallas, pp. 57-116.
- Marks, A. 1968.Ibid
- (33) Clark, J.D., 1954. The Prehistoric Cultures of the Horn of Africa. Cambridge University Press, Cambridge.
- Kurashina, H., 1978. An Examination of Prehistoric Lithic Technology in East-Central Ethiopia (Ph.D. dissertation). University of California, Berkeley.
- (34) Crassard, R., 2009. Middle Paleolithic in Arabia: the view from the Hadramawt region, Yemen. In: Petraglia, M.D., Rose, J.I. (Eds.), The Evolution of Human Populations in Arabia. Paleoenvironments, Prehistory and Genetics. Springer Academic Publishers, Dordrecht, pp. 151-168.
- Crassard, R., Thiebaut, C., 2011. Levallois points production from eastern

- Yemen and some comparisons with assemblages from East-Africa, Europe and the Levant. In: Le Tensorer, J.M., Jagher, R., Otte, M. (Eds.), The Lower and Middle Paleolithic in the Middle East and Neighboring Regions. ERAUL, Liège, pp. 131-142.
- Inizan, M.L., Ortlieb, L., 1987. Préhistoire dans la région de Shabwa au Yemen du Sud (R.D.P. Yemen). *Paleoenvironments* 13, 5-22.
 - Schiettecatte, J., al-Ghazzi, A., Charloux, G., Crassard, R., Hilbert, Y.H., Monchot, H., Mouton, M., Simeon, P., 2013. Al-Kharj oasis through time: first results of Archaeological fieldwork in the province of Riyadh (Saudi Arabia). *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 43, 285-308.
 - Crassard, R., Hilbert, Y.H., 2013. A Nubian Complex site from central Arabia: implications for Levallois taxonomy and human dispersals during the Upper Pleistocene. *PLoS One* 8, 69221
 - Hilbert, Y.H., et al. 2015. Nubian technology in northern Arabia: Impact on interregional variability of Middle Paleolithic industries, *Quaternary International*. *Quaternary International* xxx, pp.1-17
- (35) Hilbert, Y.H., et al. Ibid.

(36) عباس سيد أحمد محمد علي. مرجع سابق. ص 109-110